أنبياء الله

يونس وزكريا ويحيى

عليهم السلام



سفير

يونس وزكريا ويحيى

عليهم السلام

إعداد
سلامة محمد سلامة
سمير حلبي

رسوم
د. سامي أنور

إخراج فني
على الريس

سفير

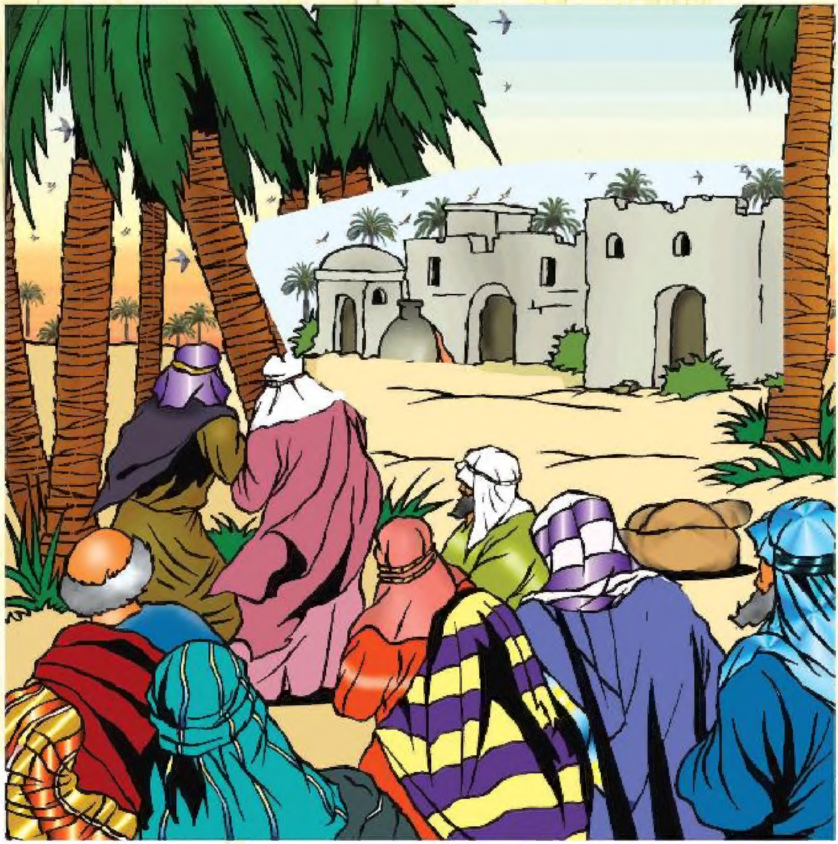
رقم الإيداع : ٢١٤١٥ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى : ISBN 977 - 361 - 676 - 2
سفير
١٦ ش محمد عز العرب من ش قصر العينى – ص . ب : ٤٢٥ الدقى – القاهرة
تليفون : ٢٥٣٢٩٩٠٢– ٢٠٢+ **فاكس** : ٢٥٣٢٩٥٠٥ – ٢٠٢+
Web Site: www.safeer.com.eg **E-Mail: info @ Safeer.com.eg**
المعرض الدائم :
٤٨ ش أحمد عرابى – المهندسين
ت : ٣٣٠٤٩٤٠٣/٢٠٢+



يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فِي مَدِينَةِ "نِينَوَى" الَّتِي تَقَعُ عَلَى الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ لِنَهْرِ "دِجْلَةَ"، كَانَ النَّاسُ يَعِيشُونَ حَيَاةً سَعِيدَةً، يَنْعَمُونَ بِالْخَيْرَاتِ الْوَفِيرَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهَا.

وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا ظَالِمِينَ، فَلَمْ يُقَابِلُوا النِّعَمَ بِالشُّكْرِ وَالْعِرْفَانِ، وَلَمْ يُؤَدُّوا حَقَّ اللهِ عَلَيْهِمْ فِيهَا، وَإِنَّمَا قَابَلُوا كُلَّ ذَلِكَ بِالْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، وَكَانُوا يُشْرِكُونَ بِاللهِ تَعَالَى، وَيَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ مِنْ دُونِهِ.



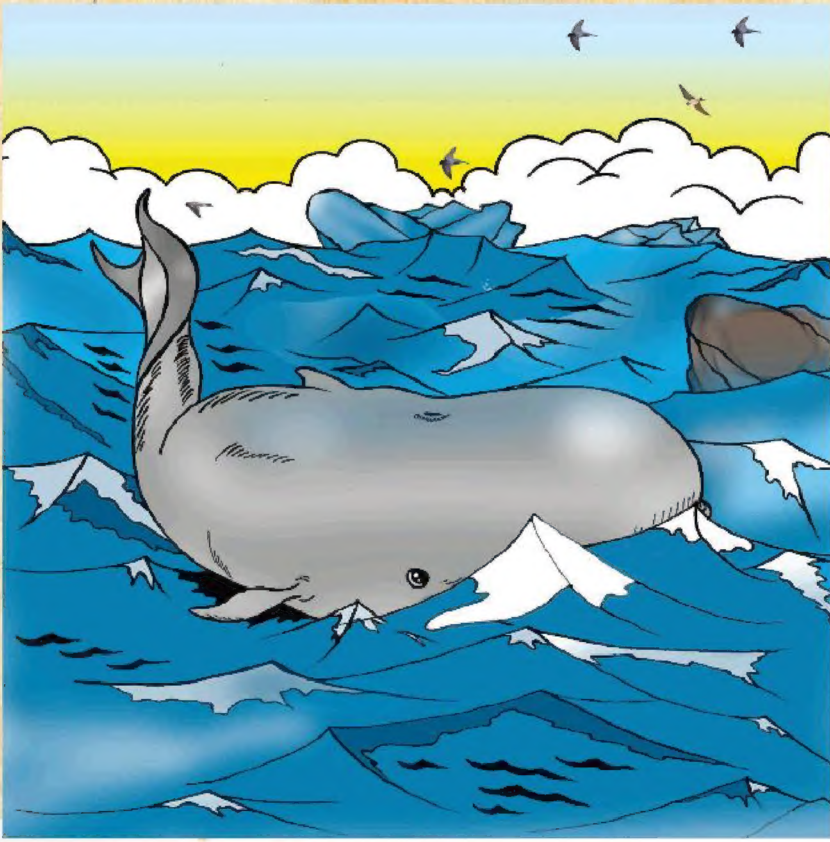
فَأَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِم "يُونُسَ" يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَكَانَ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُحِبُّ قَوْمَهُ، وَيُحِبُّ لَهُمُ الْخَيْرَ وَالْهِدَايَةَ، فَظَلَّ يُحَاوِلُ بِكُلِّ الطُّرُقِ إِقْنَاعَهُمْ وَهِدَايَتَهُم، وَيَسْعَى بِشَتَّى السُّبُلِ لإِخْرَاجِهِمْ مِنْ ضَلاَلِهِمْ وَغِوَايَتِهِم، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يُقَابِلُونَ دَعْوَتَهُ بِالتَّمَادِي فِي الْعِنَادِ وَالْجُحُودِ وَالْكُفْرَانِ، فَكَذَّبُوهُ وَأَعْرَضُوا عَنْ دَعْوَتِهِ وَخَالَفُوهُ، وَأَغْلَظُوا لَهُ فِي الْقَوْلِ وَحَارَبُوهُ.



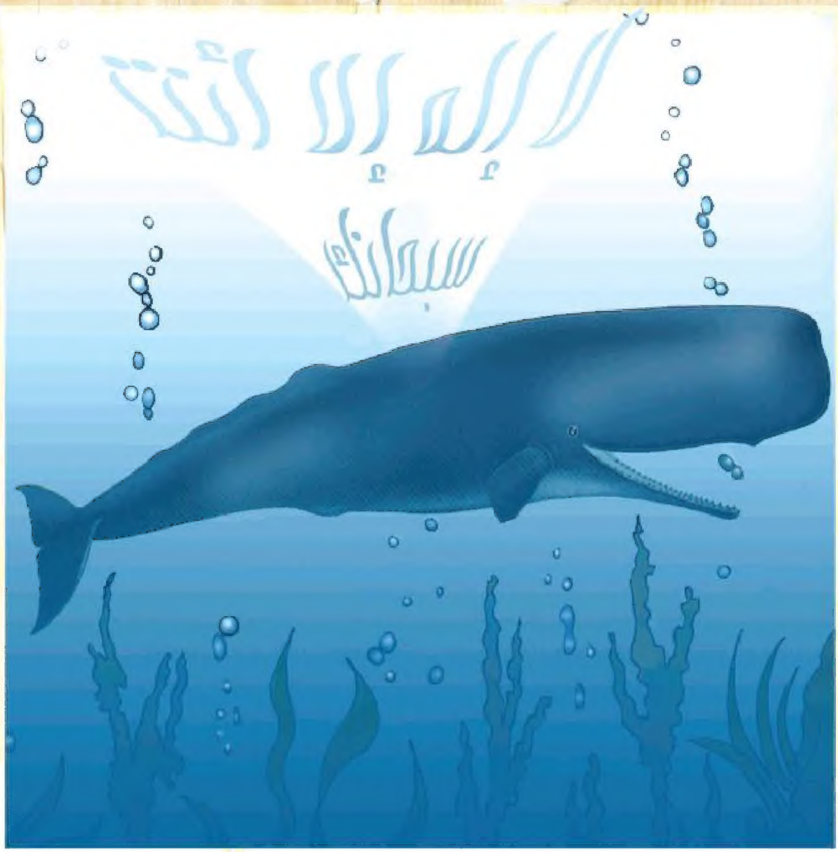
فَلَمَّا وَجَدَ نَبِيُّ اللهِ "يُونُسُ" - عَلَيْهِ السَّلامُ - مِنْ قَوْمِهِ كُلَّ هَذَا الْعِنَادِ وَالْكُفْرِ، تَوَعَّدَهُمْ بِعِقَابِ اللهِ، بَعْدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ غَاضِبًا عَلَى أَهْلِهَا، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ بِذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ "يُونُسُ" - عَلَيْهِ السَّلامُ - أَحَسَّ أَهْلُ "نِينَوَى" بِالْخَوْفِ مِنْ عَذَابِ اللهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِهِ نَبِيُّهُ، وَبَدَأَ الْخَوْفُ يَدُبُّ فِي قُلُوبِهِمْ، وَنَدِمُوا نَدَمًا شَدِيدًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، وَتَابُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَغَفَرَ لَهُمْ، وَرَفَعَ عَنْهُمُ ذَلِكَ الْعَذَابَ.



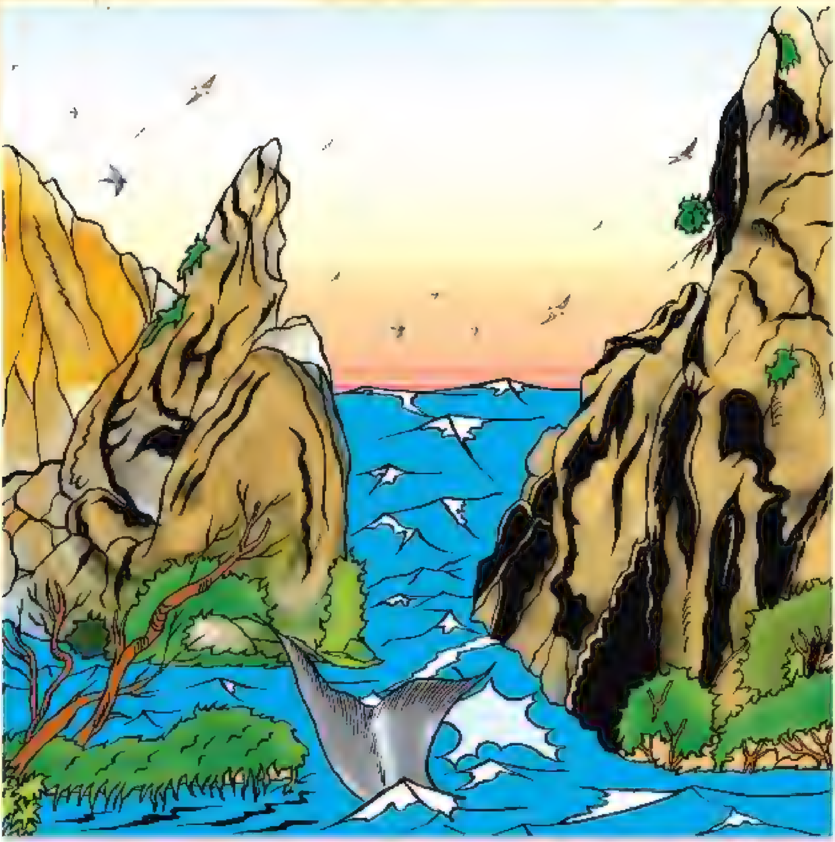
تَرَكَ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – قَوْمَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْبَحْرِ، وَهُنَاكَ وَجَدَ سَفِينَةً فَرَكِبَ فِيْهَا، وَسَارَتِ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى صَارَتْ فِي وَسَطِ الْمَاءِ. وَفَجْأَةً هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، وَارْتَفَعَتِ الأَمْوَاجُ، حَتَّى أَوْشَكَتِ السَّفِينَةُ عَلَى الْغَرَقِ، وَأَصَابَ الْخَوْفُ رُكَّابَ السَّفِينَةِ، وَتَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ عَلَى أَنْ يُخَفِّفُوا مِنْ حُمُولَةِ السَّفِينَةِ، وَأَنْ يُجْرُوا قُرْعَةً بَيْنَهُمْ لِيَخْتَارُوا أَحَدَهُمْ؛ فَيُلْقُوهُ فِي الْبَحْرِ؛ حَتَّى يَنْجُوا جَمِيعًا.



وَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ –، وَلَكِنَّ رُكَّابَ السَّفِينَةِ رَفَضُوا جَمِيعًا أَنْ يُلْقُوهُ فِي الْبَحْرِ لما رَأَوْا عَلَيْه مِنْ عَلامَاتِ الصَّلاحِ، وَأَجْرُوا الْقُرْعَةَ مَرَّةً ثَانِيَةً؛ فَوَقَعَتْ عَلَيْه أَيْضاً، وَعِنْدَمَا أَعَادُوهَا لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ خَرَجَتْ أَيْضًا عَلَى "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَعِنْدئذٍ أَدْرَكَ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – أَنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَمْرًا عَظِيمًا، فَسَلَّمَ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ، وَتوكَّلَ عَلَيْهِ، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ؛ فَسَاقَ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ حُوتًا ضَخْمًا، فَابْتَلَعَهُ فِي جَوْفِهِ.



وَلَكِنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَى بِعَبْدِهِ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمْ تُفَارِقْهُ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ الْعَجِيبَةِ، وَهَذِهِ الْمِحْنَةِ الْفَرِيدَةِ؛ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْحُوتَ أَلاَّ يَأْكُلَ نَبِيَّ اللهِ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ، الَّذِي عَاشَ تَجْرِبَةً قَاسِيَةً رَهِيبَةً فِي بَطْنِ الْحُوتِ، تُحِيطُ بِهِ ظُلُمَاتٌ ثَلاثٌ: ظُلْمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةُ الْبَحْرِ وَظُلْمَةُ اللَّيْلِ، وَلَكِنَّ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – لَمْ يَقْنَطْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، فَظَلَّ يَدْعُوهُ وَيَسْتَغْفِرُهُ، وَيَتُوبُ إِلَيْهِ وَيُنَاجِيهِ.



وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ شِدَّةِ الْكَرْبِ وَالْبَلاءِ، فَإِنَّ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – كَانَ دَائِمَ الذِّكْرِ للهِ وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّعَاءِ، مُسْتَغْفِرًا لِذَنْبِهِ، وَمُعْتَرِفًا بِظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ حِينَ تَرَكَ قَوْمَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لَهُ. وَكَانَ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي دُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ ذَلِكَ الضِّيقِ، وَنَجَاةً مِنْ تِلْكَ الْمِحْنَةِ الْقَاسِيَةِ.



وَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى دُعَاءَ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ، فَأَمَرَ الْحُوتَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ، وَأَنْ يَقْذِفَ بِهِ إِلَى الْبَرِّ، فَأَطَاعَ الْحُوتُ أَمْرَ رَبِّهِ، وَأَلْقَى "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – فِي أَرْضٍ مُجْدِبَةٍ. كَانَ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – قَدْ بَلَغَ مِنَ التَّعَبِ وَالإِعْيَاءِ مَبْلَغًا عَظِيمًا، فَهُوَ يَشْعُرُ بِالضَّعْفِ وَالْجُوعِ، وَيَتَلَفَّتُ حَوْلَهُ بَاحِثًا عَنْ مَكَانٍ يَحْتَمِي بِهِ، أَوْ شَيْءٍ يَسُدُّ بِهِ جُوعَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا.



وَتَجلَّتْ رَحْمَةُ اللهِ بِعَبْدِهِ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ، فَأَنْبَتَ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ "يَقْطِينٍ" - وَهِيَ شَجَرَةُ "الْقَرْعِ" - لِيَسْتَظِلَّ بِهَا، وَيَأْكُلَ مِنْ ثِمَارِهَا. وَعِنْدَمَا أَكَلَ نَبِيُّ اللهِ "يُونُسُ" – عَلَيْهِ السَّلامُ– مِنْ ثِمَارِ الشَّجَرَةِ، وَاسْتَظَلَّ بِوَرَقِهَا مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، اسْتَرَدَّ قُوَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ، وَأَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى الْحَرَكَةِ وَالسَّيْرِ، فَعَادَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى قَوْمِهِ؛ لِيَدْعُوهُمْ مِنْ جَدِيدٍ.



وَكَانَ قَوْمُهُ يَتَرَقَّبُونَ عَوْدَتَهُ بَعْدَ أَنْ تَابُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَرَجَعُوا عَمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالضَّلالِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ قَادِمًا فَرِحُوا بِهِ، وَخَرَجُوا لاسْتِقْبَالِهِ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ، وَزَادَ عَدَدُ أَتْبَاعِ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – حَتَّى صَارُوا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِرِسَالَتِهِ، وَمَكَّنَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ "يُونُسَ" – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَأَتْبَاعِهِ فِي الأَرْضِ، جَزَاءَ إِيمَانِهِمْ بِدِينِهِ، وَنُصْرَتِهِمْ لِنَبِيِّهِ، وَاتِّبَاعِهِمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ.



زَكَرِيًّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السّلامُ

أَرْسَلَ اللهُ تعَالَى "زَكَرِيًّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – إِلَى "بَنِي إِسْرَائِيلَ" لِهِدَايَتِهِمْ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، بَعْدَ أَن ابْتَعَدُوا عَنِ الصّراطِ المستقيمِ حَيْثُ حرّفوا وبدّلُوا كثيراً من التشريعاتِ الّتي أَنْزَلَهَا اللّهُ في التوراة عَلَى "مُوسَى"، عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَقَدِ اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى مِنهُمْ، لِيَكُونَ مَعْرُوفًا لَهُمْ فَلا يُنْكِرُونَهُ وَلاَ يُكَذِّبُونَهُ، فَهُوَ مِنْ نَسْلِ أَنْبِيَائِهِمْ، يَمْتَدُّ نَسَبُهُ إِلَى نَبِيِّ اللهِ "يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ" عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ.



وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ مِيلاَدِ نَبِيِّ اللهِ "عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ" – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بِعِدَّةِ سَنَوَاتٍ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَعِيشُ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنْ "بَنِي إِسْرَائِيلَ" عُرِفَ بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى، وَاشْتُهِرَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلاَحِ، اسْمُهُ "عِمْرَانُ".

كَانَ لِعِمْرَانَ زَوْجَةٌ طَيِّبَةٌ صَالِحَةٌ، وَعِنْدَمَا شَعَرَتْ بِحَمْلِهَا نَذَرَتْ أَنْ تَهَبَ مَا فِي بَطْنِهَا لِخِدْمَةِ "بَيْتِ الْمَقْدِسِ" طَوَالَ حَيَاتِهِ، وَيَتَفَرَّغُ لِعِبَادَةِ اللهِ، فَلَمَّا رُزِقَتْ بِمَوْلُودَةٍ أُنْثَى سَمَّتْهَا "مَرْيَمَ".



وَبعْدَ أَنْ كَبِرَتْ "مَرْيَمُ" قَلِيلاً، تَوَجَّهَتْ بِهَا أُمُّهَا إِلَى "بَيْتِ الْمَقْدِسِ" لِتَفِي بِنَذْرِهَا.

وَكَانَ لابُدَّ أَنْ يَتَوَلَّى كَفَالَةَ "مَرْيَمَ" الطِّفْلَةَ الصَّغِيرَةَ أَحَدُ الأَحْبَارِ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ الأَتْقِيَاءِ الْمُقِيمِينَ بِالْمَسْجِدِ، لِيَرْعَاهَا وَيُحْسِنَ تَرْبِيَتَهَا وَالْقِيَامَ عَلَى شُئُونِهَا.

وَتَنَافَسَ الأَحْبَارُ عَلَى كَفَالَةِ "مَرْيَمَ" ابْنَةِ الْعَالِمِ الْجَلِيلِ "عِمْرَانَ"، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الْمُتَنَافِسِينَ نَبِيُّ اللهِ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ، فَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهَا الْكُبْرَى، وَأَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِ بِرِعَايَتِهَا وَتَعْلِيمِهَا.



وَلَكِنَّ الأَحْبَارَ أَصَرُّوا عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ تِلْكَ الْمُهِمَّةَ، وَكَانَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَرَى أَنَّهُ أَحَقُّ مِنْ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – بِكَفَالَةِ "مَرْيَمَ"، لأَنَّهُ نَجَّارٌ فَقِيرٌ، لا يَمْلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَالِ، وَلَمَّا زَادَ تَنَازُعُهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى إِجْرَاءِ قُرْعَةٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ لاخْتِيَارِ مَنْ يَكْفُلُ "مَرْيَمَ"، فَلَمَّا جَاءَتِ الْقُرْعَةُ مِنْ نَصِيبِ نَبِيِّ اللهِ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – فَرِحَ بِذَلِكَ، وَخَصَّصَ لَهَا مَكَانًا فِي الْمَسْجِدِ لا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ سِوَاهَا، وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهَا وَالْعِنَايَةَ بِهَا.



كَانَتْ "مَرْيَمُ" تَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى وَتُسَبِّحُهُ لَيلاً وَنَهَارًا، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي التَّقْوَى وَالصَّلاَحِ، وَأَكْرَمَهَا اللهُ تَعَالَى بِالْكَرَامَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَشْرِيفِهِ لَهَا، فَكَانَ نَبِيُّ اللهِ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَكَانَ عِبَادَتِهَا؛ لِيَطْمَئِنَّ عَلَى أَحْوَالِهَا، يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَحِينَمَا يَسْأَلُهَا عَنْ مَصْدَرِهَا، كَانَتْ تُجِيبُهُ فِي إِيمَانٍ وَتَوَاضُعٍ بِأَنَّهُ رِزْقٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ.



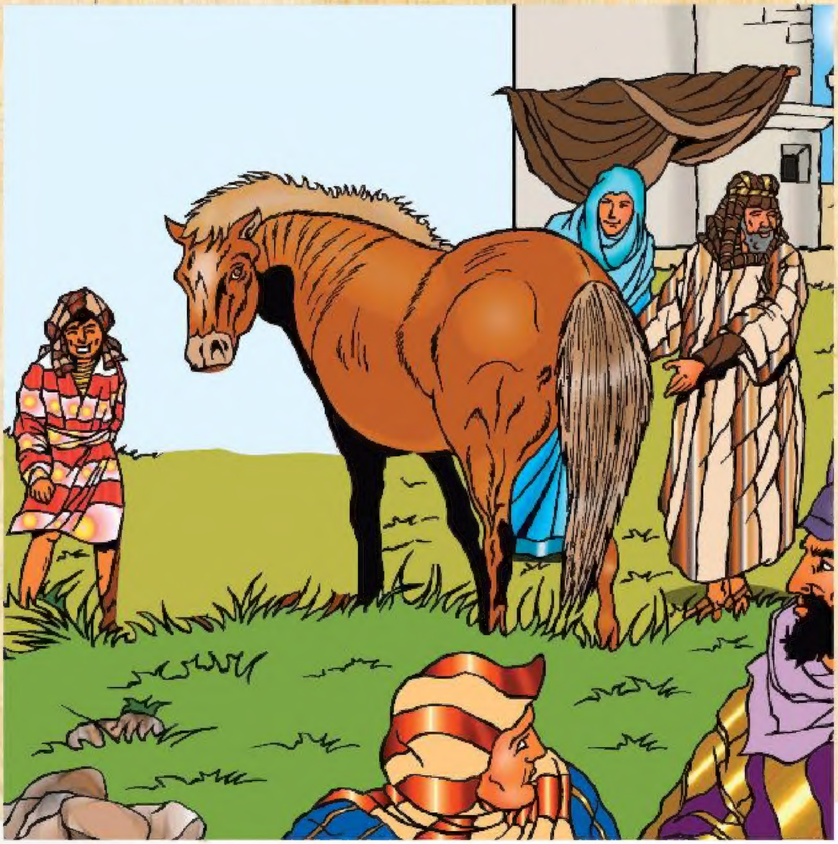
وَكَانَ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – قَدْ كَبِرَ فِي السِّنِّ وصارَ شَيْخًا كَبِيرًا وَزَوْجَتُه عَقِيمًا لا تَلِد وَلَمْ يُرْزَقْ بِوَلَدٍ من صُلْبِه، فَلَمَّا رَأَى هَذِهِ الأَرْزَاقَ التِي تَأْتِي لِمَرْيَمَ فِي غَيْرِ أَوَانِها، تَمَنَّى أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ وَلَدًا صَالِحًا مِنْ صُلْبِهِ، وإِنْ كانَ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، يَرِثُهُ وَيَرِثُ مِيرَاثَ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالنُّبُوَّةِ؛ لِيُكْمِلَ رِسَالَتَهُ فِي دَعْوَةِ "بَنِي إِسْرَائِيلَ" وَهِدَايَتِهِمْ، فَهُوَ يَخْشَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ، وَيُبَدِّلُوا دِينَهُمْ، كَمَا اعْتَادُوا دَائِمًا أَنْ يَفْعَلُوا مَعَ أَنْبِيَائِهِمْ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ.



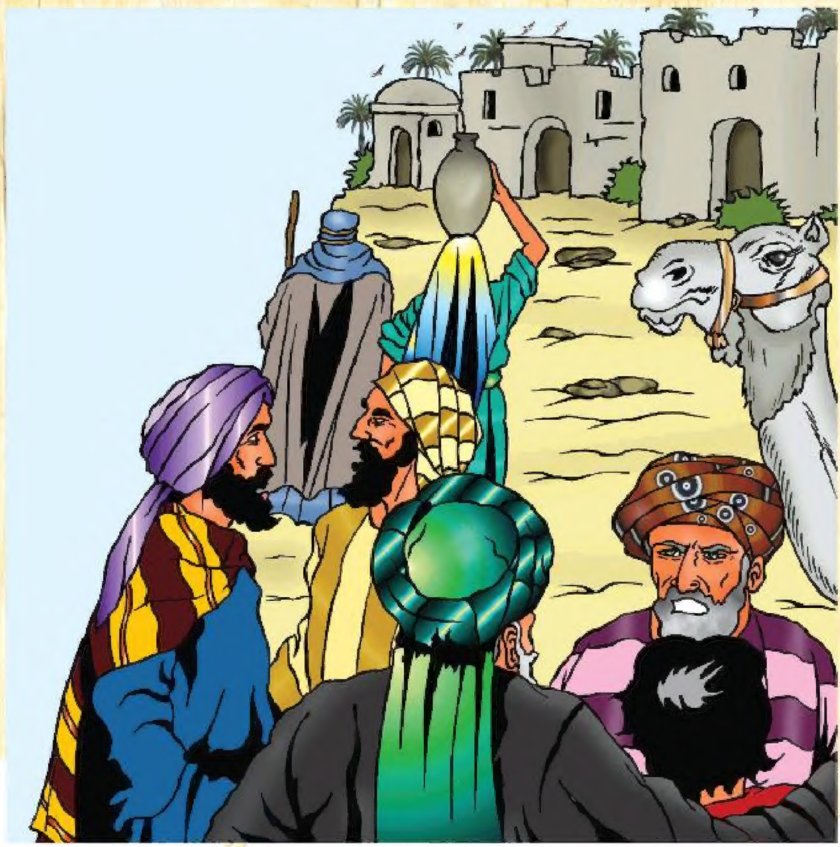
وَذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَمَا كَانَ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُصَلِّي، جَاءَتْهُ الْبُشْرَى مِنَ الْمَلائِكَةِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اسْتَجَابَ لِدُعَائِهِ، وَسَوْفَ يَهَبُهُ وَلَدًا سَمَّاهُ اللهُ "يَحْيَى"، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ نَبِيًّا صَالِحًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَرِحَ "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – فرحًا شديدًا مِنْ تِلْكَ الْبُشْرَى: فَكَيْفَ يُمْكِنُ لِشَيْخٍ كَبِيرٍ مِثْلِهِ أَنْ يُنْجِبَ؟!.. وَكَيْفَ تَلِدُ زَوْجَتُهُ الْعَاقِرُ فِي مِثْلِ هَذِهِ السِّنِّ؟!.. وَلَكِنَّهَا مَشِيئَةُ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتُهُ، وَلاَ رَادَّ لِمَشِيئَتِهِ، وَلاَ مُعْجِزَ لِقُدْرَتِهِ!!



وَكَانَتْ لَهْفَةُ "زَكَرِيَّا" - عَلَيْهِ السَّلامُ - كَبِيرَةً عَلَى تَحْقِيقِ تِلْكَ الْبُشْرَى الْعَظِيمَةِ، فَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى أن يَجْعَلَ لَهُ آيَةً تَدُلُّهُ عَلَى مَوْعِدِ تَحْقِيقِ الْبُشْرَى لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ، فَاسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لَهُ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْهِ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُكَلِّمَ النَّاسَ فِيهَا إلاَّ بالإِشَارَةِ، فَإِذَا حَدَثَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّ مُعْجِزَةَ اللهِ قَدْ تَحَقَّقَتْ، وَأَنَّ زَوْجَتَهُ حَمَلَتْ بِمَوْلُودِهَا "يَحْيَى"، وَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ، وَشُكْرِ اللهِ عَلَى نِعْمَتِهِ.

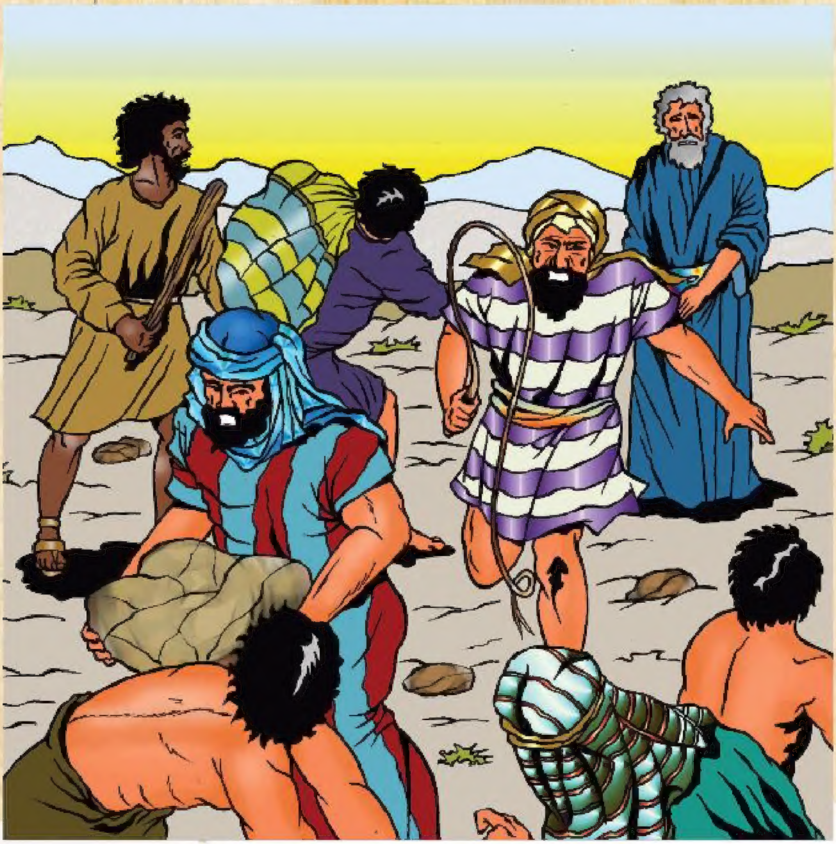


وَمَرَّتِ الأَيَّامُ وَ"زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – عَلَى عَهْدِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ للهِ، وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، وَبَيْنَمَا "زَكَرِيَّا" – عَلَيْهِ السَّلامُ – يُصَلِّي فِي مِحْرَابِهِ، أَحَسَّ أَنَّ لِسَانَهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى الْكَلامِ، فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مَسْرُوراً، وَرَاحَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ مُحَاوِلاً إِخْبَارَهُمْ بِتَحَقُّقِ الْبِشَارَةِ، وَحُدُوثِ الْمُعْجِزَةِ. وَسُرْعَانَ مَا وَضَعَتْ أُمُّ "يَحْيَى" مَوْلُودَهَا، الَّذِي جَاءَ مُعْجِزَةً، وَكَانَتْ طُفُولَتُهُ مُخْتَلِفَةً عَنْ غَيْرِهِ مِنَ الأَطْفَالِ.

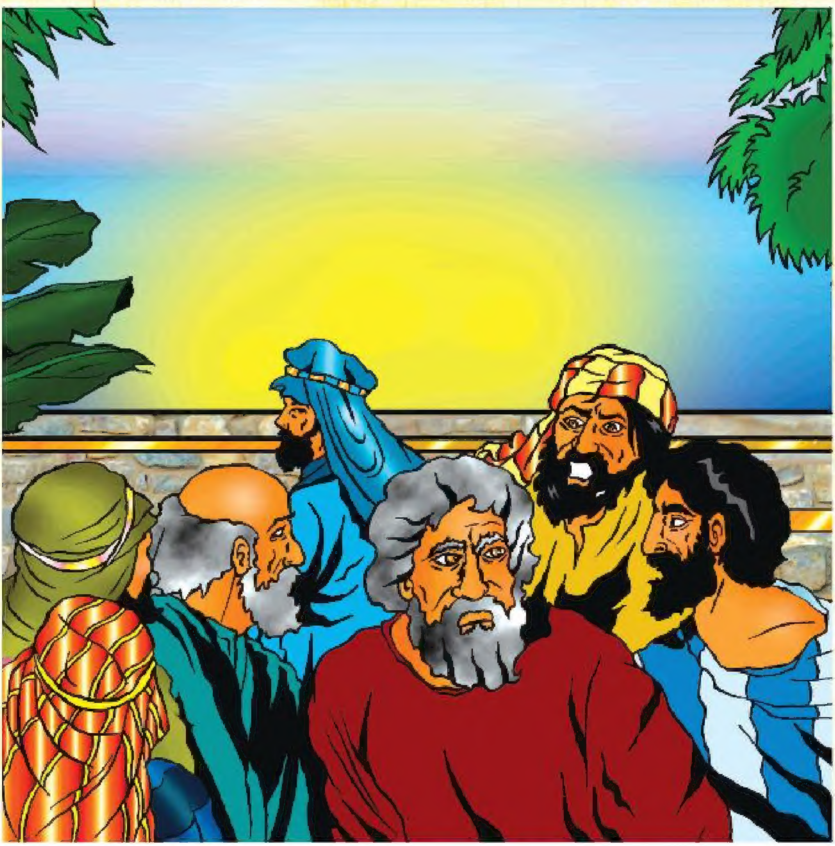


فَقَدْ ظَهَرَتْ دَلَائِلُ النُّبُوغِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى "يَحْيَى" مُنْذُ صِغَرِهِ، فَنَشَأَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَأَقْبَلَ بِشَغَفٍ عَلَى تَعَلُّمِ "التَّوْرَاةِ" حَتَّى حَفِظَهَا وَفَهِمَ أَحْكَامَهَا وَشَرَائِعَهَا، وَهُوَ لا يَزَالُ صَبِيًّا صَغِيراً.

وَاشْتُهِرَ "يَحْيَى" بِالتَّقْوَى والصَّلاحِ، وَكَانَ بَارًّا بِوَالِدَيْهِ، لَطِيفًا بِهِمَا، طَائِعًا لَهُمَا، مُحْسِنًا إِلَيْهِمَا، كَمَا كَانَ مُتَوَاضِعًا لِلنَّاسِ، مُسَاعِداً لِلْمُحْتَاجِ عَوْنًا لِلضَّعِيفِ نَاصِرًا لِلْمَظْلُومِ آمِرًا بِالمعرُوفِ ناهِيًا عَنِ المُنْكَرِ.



وَكَانَ "يَحْيَى" – عَلَيْهِ السَّلامُ – يَدْعُو "بَنِي إِسْرَائِيلَ" إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالتَّمَسُّكِ بِدِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَيْهِم، وَلَكِنَّ "بَنِي إِسْرَائِيلَ" عَانَدُوهُ، وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَتَعَرَّضُوا بِالأَذَى لَهُ، وَرَاحُوا يَتَآمَرُونَ عَلَيْهِ، وَيَكِيدُونَ لَهُ، وَلَمْ يَتَوَرَّعُوا عَنْ إِيذَائِهِ، وَالتَّحْرِيضَ عَلَى قَتْلِهِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْهُ وَمِنْ دَعْوَتِهِ.



وَفِي إِحْدَى اللَّيَالِي اجْتَمَعَ رُءُوسُ الْكُفْرِ، وَتآمَرُوا عَلَى قَتْلِهِ، وَخَطَّطُوا لِتَنْفِيذِ جَرِيمَتِهِمْ ضِدَّ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ، وَانْطَلَقَ الْكُفَّارُ يَبْحَثُونَ عَنِ النَّبِيِّ وَالشَّرُّ يَمْلأُ قُلُوبَهُمْ، حَتَّى وَجَدُوهُ، فَقَتَلُوهُ كَمَا قَتَلُوا الأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ مِنْ قَبْلِهِ، لِيُضِيفُوا إِلَى سِجِلِّ جَرَائِمِهِمْ جَرِيمَةً أُخْرَى، تَظَلُّ الأَجْيَالُ تَتَنَاقَلُهَا، لِتَرْوِي فَظَائِعَ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ وَجَرَائِمَهُمْ فِي حَقِّ الْبَشَرِيَّةِ!!..